مجلة البحث العلمي الإسلامي

Journal of Islamic Scientific Research

(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

المجلد 23 – العدد 83 – يوليو 2026

Volume 23 – issue 83 – July 2026

Pages 289 - 313 الصفحات 289 - 313

# التفسير المقارن لحادثة الإفك

## دراسة تطبيقية مقارنة بين تفسير أهل السنّة وتفسير الإمامية (الشيعة)

## دراسة تطبيقية على آيات سورة النور (11– 26)

**A Comparative Exegetical Study of the Incident of the False Accusation (Hadith al–Ifk): A Comparative Analysis of Sunni and Imami (Shiʿi) Qur'anic Exegesis of Surat al–Nūr (24:11–26)**

**DOI:** https://doi.org/10.55625/joisr-8309

**د. مشاري بن حميد عايد الضويحي**

Dr. Mishari bin Humaid Ayed Al-Duwaihi

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك – ووكيل الكلية الجامعية بحقل للدراسات العليا والتطوير – قسم الدراسات الإسلامية الكلية الجامعية بحقل – جامعة تبوك

Associate Professor of Interpretation and Qur'anic Sciences - Vice Dean of Haql University College for Postgraduate Studies and Development - Department of Islamic Studies - Haql University College - University of Tabuk

Email: maldawaihi@ut.edu.sa

Date of Receipt - 2026/04/21 – تاريخ الاستلام

Date of Acceptance - 2026/05/04 – تاريخ القبول

**من إعداد: د. مشاري بن حميد عايد الضويحي**
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك ووكيل الكلية الجامعية بحقل للدراسات العليا والتطوير
قسم الدراسات الإسلامية الكلية الجامعية بحقل جامعة تبوك

***Prepared by: Dr. Mishari bin Humaid Ayed Al-Duwaihi***
Associate Professor of Interpretation and Qur'anic Sciences - Vice Dean of Haql University College for Postgraduate Studies and Development - Department of Islamic Studies - Haql University College - University of Tabuk

E-mail: maldawaihi@ut.edu.sa

# التفسير المقارن لحادثة الإفك

## دراسة تطبيقية مقارنة بين تفسير أهل السنّة وتفسير الإمامية (الشيعة)

## دراسة تطبيقية على آيات سورة النور (١١ – ٢٦)

# A Comparative Exegetical Study of the Incident of the False Accusation (Hadith al-Ifk):

## A Comparative Analysis of Sunni and Imami (Shi'i) Qur'anic Exegesis of Surat al-Nur (24:11–26)

**DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8309**

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٦/٤/٢١ / تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٥/٤

**الملخّص**

يتناول هذا البحث «التفسير المقارن» بوصفه منهجًا علميًا في دراسة الاختلافات التفسيرية بين المدارس، ويطبّقه تطبيقًا محددًا على آيات حادثة الإفك في سورة النور (١١ ٢٦).

**يهدف البحث إلى:**

١) رصد البنية الاستدلالية في تفسير أهل السنّة لهذه الآيات، وبخاصة اعتمادهم على حديث الإفك المشهور في الصحيحين وغيرها، واعتبار الآيات نزلت في براءة السيدة عائشة رضي الله عنها.

٢) رصد الاتجاهات التفسيرية الإمامية، ولا سيما ما يورده بعضهم من روايات تُسند الآيات إلى قضية مارية القبطية، مع مناقشة موقع هذه الروايات في المنهج الاسدلالي الإمامي ومدى

حضورها أو نقدها داخل المدرسة نفسها.

٣) بيـان نقـاط الاتفاق الموضوعية في مقاصد الآيات (التشريـع الأخلاقي، ضبط اللسان، حمايـة الأعراض، آداب التثبت)، ونقـاط الافتراق (التعييـن التاريخي للمقذوفـة، والتعامل مع الأخبار، وتمثّل مفهوم «حجية المأثور»).

واعتمـد البحـث المنهج التحليلي المقارن، مـع ضبط «وحدة المقارنة» فـي (سبب النزول، والمأثور، والدلالة السياقية، والاستنباط المقاصدي).

وانتهـى إلـى أن مساحة الاشتـراك في مقاصد التشريـع والتهذيب الاجتماعـي واسعة، وأن الخـلاف الأبرز يتعلـق بترجيح سبب النزول وتعييـن الواقعة، وهو خلافٌ يغذّيـه اختلاف مناهج قبول الأخبار وموقع التاريخ الروائي في التفسير لدى المدرستين.

**الكلمات المفتاحية:** التفسير المقارن، حادثة الإفك، سورة النور، أسباب النزول، المأثور، الميزان، الطبري، ابن كثير، مجمع البيان.

**Abstract:**

This study examines comparative exegesis as a scholarly method for analyzing interpretive differences among exegetical schools, and applies it specifically to the verses concerning the Incident of Ifk in Surat al-Nur (24:11–26).

The study aims to:

Identify the inferential structure in Sunni exegesis of these verses, particularly their reliance on the well-known Hadith of Ifk as narrated in Sahih al-Bukhari, Sahih Muslim, and other sources, and their view that the verses were revealed to declare the innocence of Lady Aisha (may Allah be pleased with her).

Examine Imami exegetical trends, especially the reports cited by some exegetes that relate these verses to the case of Mariyah al-Qibtiyyah, while discussing the place of such reports within the Imami inferential method and the extent of their acceptance or criticism within the school itself.

Clarify the points of substantive agreement in the objectives of the verses, such as ethical legislation, restraint of the tongue, protection of honor, and the etiquette of verification, as well as the points of divergence, including the historical identification of the accused woman, the treatment of transmitted reports, and the conception of the authoritative value of transmitted tradition.

The study adopts the comparative analytical method, with the unit of comparison defined in terms of the occasion of revelation, transmitted reports,

contextual significance, and purposive deduction.

The study concludes that there is a broad area of convergence regarding the legislative purposes of the verses and their role in social and moral refinement, while the most significant disagreement concerns the preferred occasion of revelation and the identification of the historical incident. This disagreement is largely shaped by differing approaches to the acceptance of reports and by the role of narrative history in exegesis within the two schools.

**Keywords:** comparative exegesis, Incident of Ifk, Surat al-Nur, occasions of revelation, transmitted tradition, al-Mizan, al-Tabari, Ibn Kathir, Majma‘ al-Bayan.

**المقدمة**

الحمـد لله رب العالمين، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيـم سلطانه، والصلاة والسلام على خير رسل الله محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد:

فقـد ورد الإخبـار عن حادث الإفك فـي آيات سورة النور، والتي أعقبهـا الحديث عن الزنا، والقذف به، وإقرار الآداب والأحكام كالاستئذان والخلوة والنظر، وغيرها من الآداب، وفيها أيضًا عتـاب وتوجيه من الله تعالى على منع الصدقة عن الفقراء أو المساكين لأمر شخصي، والترغيب في العفو والصفح والإحسان.

وقـد اختلفـت مناهج المفسرين في تفسيـر آيات حادث الإفك من سـورة النور، فمنهم من تناولهـا بالتحليـل البنائـي، أو اللفظي، ومنهم مـن تناولها مـن الجانب الموضوعـي، أو بالمأثور مـن الآثار والأحاديث، وغيرها، ومن هنـا يأتي أهمية التفسير المقارن لبيـان الموازنة بين أقوال المفسرين ومناهجهم.

وقـد تباينـت الآراء بيـن التفسيـر السنـي والإمامي فـي تفسير آيـات حادث الإفـك، وهذا التبايـن يأتي في البنية الاستدلاليـة، من حيث اعتماد التفسير السني علـى الحديث المشهور في الصحيحين، والاتجاه الإمامي في تفسير آيات حادث الإفك، ولا سيما ما يورده بعضهم من روايات تُسند الآيات إلى قضية مارية القبطية.

ويأتـي دور التفسير المقارن فـي الوقوف على نقاط الاتفاق الموضوعيـة في مقاصد الآيات (التشريـع الأخلاقي، ضبط اللسان، حمايـة الأعراض، أدب التثبت)، ونقـاط الافتراق (التعيين التاريخي للمقذوفة، والتعامل مع الأخبار، وتمثّل مفهوم «حجية المأثور»).

**أهمية البحث:**

تظهر أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية:

١- إبراز قيمة «التفسير المقارن» في تهذيب الخلاف بتحويله من سجالٍ إلى تحليلٍ منهجي.

٢- تقديم نموذج تطبيقي مضبوط على وحدة نصية محددة (النور ١١ ٢٦).

٣- إظهار أن كثيرًا من مقاصد الآيات أخلاقي اجتماعي بغض النظرعن التعيين.

**أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى:

١- تفكيك مسارات الاستدلال في التفسيرين (السنّي والإمامي).

٢- مقارنة توظيف المأثور وأسباب النزول.

٣- استخراج نقاط الاتفاق والاختلاف في الدلالة والاستنباط.

٤- اقتراح إطار عملي لكتابة دراسة «تفسير مقارن» قابلة للنشر.

**حدود البحث:**

يقتصر التطبيق على آيات الإفك: (النور ١١ ٢٦).

المقارنة في عينة ممثّلة من التفاسير:

سنّيًا: الطبري، ابن كثير، القرطبي (باعتبارهم أمهات تفاسير الأثر والفقه والتحليل).

إماميًا: مجمع البيان للطبرسي، والميزان للطباطبائي، مع الإشارة إلى القمي بوصفه وعاءً روائيًا في هذا الموضع.

**مشكلة البحث:**

تُمثّل آيات الإفك في سورة النور (١١ ٢٦) نموذجًا فريدًا لتداخل التفسير بالمأثور مع التفسير التحليلي والفقهي والمقاصدي. وقد اشتهر في المدونة السنية أن هذه الآيات نزلت في براءة السيدة عائشة رضي الله عنها، وأن «حديث الإفك» الطويل أصلٌ تفسيري وتاريخي في تعيين الواقعة، وهو ما يصرّح به عدد من كبار المفسرين. من ذلك تصريح ابن كثير بأن «هذه الآيات الخمس عشرة كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين»، وتصريح القرطبي بأن سبب نزولها ما رواه الأئمة من حديث الإفك المشهور الصحيح.

وفي المقابل، يظهر في بعض المصادر الإمامية اتجاهٌ يربط الآيات بقصة أخرى تتصل بماريّة القبطية، وهو ما يذكره الطباطبائي في «الميزان» نقلاً عن «تفسير القمي» بوصفه رواية «الخاصة» في مقابل رواية «العامة» في عائشة. وهنا تتحدد مشكلة البحث في سؤال: كيف تُبنى حجية السبب والتعيين التاريخي للواقعة في التفسير السني والشيعي؟ وكيف ينعكس ذلك على فهم الآيات واستنباطاتها؟

**الدراسات السابقة (موجز تحليلي)**

**دراسات حول آيات الإفك كوحدة موضوعية:**

من الأعمال الأكاديمية المباشرة: رسالة «آيات حادثة الإفك في سورة النور: دراسة تحليلية» (خالـد بن فهـد الكليب المغيرة، ٢٠١١) التي درست آيات (١١ ٢٦) تحليلًا موضوعيًا. تفيد هذه الرسالة في تلخيص البناء التحليلي السنّي العام (السياق، اللغة، الرواية، الاستنباط).

**دراسات في مصادر التفسير بالمأثور بين السنّة والإمامية:**

توجد دراسات مقارنة في «مصادر التفسير بالمأثور» بين المدرستين (كمسار منهجي عام) وتصلح لتأطير اختلاف الجهاز الروائي ووظيفة الخبر في التفسير (الاختلاف بين السنة والشيعة فـي تفسير القرآن الكريم: آيات الأحكام نموذجًـا - السيد عاطف السيد عبد النبي خليل - مجلة بحوث كلية الآداب - جامعة المنوفية - كلية الآداب).

**ملاحظة نقدية على «المادة الجدلية»:**

هنـاك مـواد غيـر محكّمة تتنـاول الخلاف حـول «فيمن نزلت آيـات الإفك» وتقـدّم عرضًا سجاليًا (ومنها مواد تصرّح بالخلاف بين عائشة ومارية). لا يعتمد البحث عليها بوصفها مرجعًا تأسيسيًا، لكنه يستفيد منها لرصد «حضور الإشكال» في التداول المعاصر.

**منهج البحث وإجراءاته:**

اعتمد البحث المنهج التحليلي المقارن وفق خطوات:

١- تحديد «وحدة المقارنة»: السبب/ المأثور/ السياق/ الاستنباط.

٢- جمـع نصوص التفسيـر للآيات ١١ ٢٦ من العينة. (مثلاً: مـن تفاسير السنة: الطبري وابن كثير والقرطبي، ومن تفاسير الشيعة: مجمع البيان والميزان).

٣- تحليل الأدلة (نص، سياق، رواية) وآلية الترجيح.

٤- تركيب النتائج في مصفوفة اتفاق/اختلاف.

**خطة البحث:**

ينتظم البحث في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

تناولت المقدمة: أهمية البحث، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: الإطار النظري: التفسير المقارن ومسوغاته.

المطلب الأول: مفهوم التفسير المقارن

المطلب الثاني: مداخل المقارنة في موضوع الإفك

المبحث الثاني: البناء الدلالي لآيات الإفك (النور ١١ ٢٦): قراءة سياقية مشتركة.

المطلب الأول: التفسير السنّي لآيات الإفك: مصادره وبنيته الاستدلالية.

المطلب الثاني: التفسير الإمامي (الشيعي) لآيات الإفك: اتجاهاته وآلياته.

المطلب الثالث: المقارنة التفصيلية: نقاط الاتفاق والاختلاف (مصفوفة تحليلية).

المبحث الثالث: مناقشة علمية: لماذا يختلف التعيين التاريخي؟ (فرضيات تفسيرية)

المبحث الرابع: نموذج تطبيقي لتفسير بعض آيات الإفك في سورة النور.

المبحث الخامس: الرد على شبهة حادث الإفك.

الخاتمة. وتتضمن أهم نتائج البحث والتوصيات.

المصادر والمراجع.

## المبحث الأول

### الإطار النظري: التفسير المقارن ومسوغاته

يـدور التفسير المقارن حـول دراسة أقوال المفسرين ومناهجهـم والموازنة بينهم، والجمع بيـن آرائهـم التفسيرية، والترجيح بينها وبيان أسباب الترجيح، ويـدور التفسير المقارن في آيات الإفك من سورة النور حول محور الآيات، وأسباب نزولها، والاستدلال بين التفسير السني المتمثل في الطبري، وابن كثير، والقرطبي من جهة، وبين التفسير الإمامي، ويتمثل في تفسير الطبرسي، والطبطبائي، والقمي من جهة أخرى.

#### المطلب الأول: مفهوم التفسير المقارن:

تـدور مادة (فسر) حول الكشـف والبيان والإيضاح، يقال: فسرت الشـيء وفسرته. والفسر والتفسرة: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه[١].

وجـاء فـي (لسـان العرب): «الفسـر: كشف المغطـى، والتفسيـر كشف المـراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر»ا.هـ[٢].

والتفسيـر في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية» ا.هـ[٣].

وعرفـه الإمام الزركشـي، بأنه «علم يفهم به كتاب الله المنزل علـى نبيه ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه»[٤].

أمـا التفسيـر المقارن: فيقصد بـه دراسة أقـوال المفسرين والموازنة بينهـا، واستخلاص القول الراجح، وبيان أسباب الترجيح[٥].

وقيـل: هـو «موازنة الباحـث بين تفسيريـن أو أكثر، فيقـارن بينهما مظهرًا مـا اتفقوا عليه (الموافقـات)، ومـا اختلفوا فيه (المخالفـات)، وما تفرد بـه أحدهم على الآخـر (التفردات)، بنظـرة منهجية نقدية تعني بالتحقيق والتدقيق والحكم بالقبول أو بالرد تبعًا لقواعد علوم القرآن وأصول التفسير»[٦].

---

(١) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة. ، والرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي،. مختار الصحاح، (صـ٢٣٩)، وأبو العباس الحموي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (٤٧٢/٢).

(٢) ابن منظور ، لسان العرب، (٥٥/٥)، مادة (فسر).

(٣) الزرقاني، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن، (٣/٢).

(٤) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، (١/ ١٣١).

(٥) عباس، فضل حسن ، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، (٢٠٦/١).

(٦) أبو جبل، محمد فضل. تفردات الإمام أبي السعود في إرشاده عن الزمخشري في كشافه والنسفي في مدراكه والبيضاوي في أنواره دراسة تطبيقية على تفسيرهم، ص١٩.

ويعنــى استحضــار أكثر من تفسير/ مدرسة تفسيرية لآيــة أو مقطع، وتفحص أوجه الاتفاق والاختــلاف في الدلالــة والمصادر ومناهج الاستنبــاط، ثم تُعمل أدوات الترجيــح أو تُثبت التعدد المقبــول. وتفيد الأعمال المنهجيــة في «التفسير المقارن بين النظريــة والتطبيق» في ضبط هذا المفهوم وإجراءاته (تعريف الموضوع، اختيار العينة، معايير المقارنة، كيفية عرض الأقوال).

**المطلب الثاني: مداخل المقارنة في موضوع الإفك:**

في آيات الإفك تحديدًا، تتبلور المقارنة في أربعة مداخل:

١- مدخل سببي/ تاريخي: تعيين «المقذوفة» وزمان الحادثة.

٢- مدخل روائي: وزن «حديث الإفك» وأشباهه، ومكانته في تفسير الآيات.

٣- مدخل لغوي سياقي: تحليل مفردات (الإفك، العصبة، تولّى كِبرَه، تَحسَبوه... إلخ).

٤- مدخــل مقاصدي تشريعي: أحكام القذف، آداب التثبت، مسؤولية المجتمع، بناء «الطهر الجماعي».

ويظهــر الاختلاف في هــذه المداخل من خلال الموازنة بين التفسيــر السني والإمامي، من خ لال الاختــلاف في تعيين المقذوفة من زوجــات النبي ﷺ، والاختلاف فــي الاس دلال بينهما، والمقصد التشريعي، والتحليل اللفظي اللغوي، وبيان مواطن الاختلاف والاتفاق في ذلك.

**المبحث الثاني**

**البناء الدلالي لآيات الإفك (النور ١١ ٢٦): قراءة سياقية مشتركة**

**أولًا: الإفك:**

قال ابن فارس: «(أفك) الهمزة والفاء والكاف أصل واحد، يَدُلُّ عَلَى قَلب الشَّيْء وصرفه عن جهته يقال: أفك الشيء وأفك الرجل إِذا كَذَبَ وَالْإِفْكُ الْكَذِبُ»[١].

لفــظ الإفك في هذه الآية لــه دلالة معجمية تبين أنه ليس كأي كذب، بل هو كذب يجتمع معه قلب الشيء وصرفه عن حقيقته، قال الزمخشري: «الإفك أبلغ ما يكون من الكتب والافتراء، وقيل: هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك»[٢].

لأن المقــام هنــا ليس كأي مقام والكذب ليس كأي كذب، بل هــو كذب وافتراء واتهام شنيع، ورمــي بالزنا لأطهر النســاء، عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهمــا، أم المؤمنين، وزوج سيــد المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله الأطهار الطيبين ناسب استعمال لفظ «الإفك بدل لفظ «الكذب».

(١) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (١١٨/١)؛ وينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٧٩.
(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين ، (٣٠٩/١).

**ثانيًا: القراءة السياقية لآيات الإفك:**

قبل المقارنة المذهبية، من المفيد تثبيت «الهيكل المقصدي» للآيات، لأن كثيرًا من الاستنباط الأخلاقي متقارب:

(١) الآية ١١: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: إعلان أن «العصبة» هم جماعة، وتوزيع المسؤولية، والتنبيه إلى أن ما وقع ليس شرًا محضًا بل فيه خير (بكشف المنافقين وتهذيب المجتمع).

(٢) الآيات: ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾: تأسيس مبدأ «حسن الظن»، وطلب البيّنة، وتحريم تلقي الشائعة، وتعظيم أمر القول في الأعراض.

(٣) الآيات: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾: «موعظة تشريعية» تمنع تكرار الظاهرة.

(٤) الآية ١٩: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾: تجريم «محبة إشاعة الفاحشة» ووعيدها.

(٥) الآيات ٢٠ ٢١: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾: ردّ الفضل لله والتحذير من اتباع خطوات الشيطان.

(٦) الآيات ٢٢ ٢٦: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾: بناء أخلاق العفو (قصة النفقة/القريب) والتقرير العام لطهارة المؤمنين/المؤمنات وترابط «الطيب» و«الخبيث».

هذا الإطار يساعد على تقييم: هل يؤثر الخلاف في سبب النزول على المقاصد الكبرى؟ غالبًا لا، لكنه يؤثر على «التعيين» وبعض اللوازم الكلامية/ التاريخية.

**المطلب الأول: التفسير السنّي لآيات الإفك: مصادره وبنيته الاستدلالية**

**أولًا: الطبري: مركزية الأثر وتحديد «العصبة».**

يظهر في تفسير الطبري اهتمامه بتفسير الألفاظ وتوظيف الأثر في شرح معاني العصبة[١]، تولّى كِبره[٢]، وبيان أن «الذي تولّى كِبره» هو من بدأ الخوض أو حمل معظمه[٣].

وعند الطبري، يتداخل التفسير اللغوي مع الأخبار، لكن حُجّته في الغالب تقوم على:

- بيان استعمالات العرب والمعنى.
- نقل أقوال السلف في تحديد المراد.

**ثانيًا: ابن كثير: التصريح بتعيين الواقعة في عائشة واعتماد الصحيح.**

يصرّح ابن كثير تصريحًا قويًا بأن «هذه الآيات كلها نزلت في شأن عائشة»، ويشير إلى أن سياق القصة في «الأحاديث الصحيحة»[٤]. وهذا يكشف مسلكًا تفسيريًا:

- سبب النزول ثابت بالرواية المشهورة المعتبرة. وفي البخاري عن عائشة قالت[٥]: «وأنزل الله العشر الآيات، ثم أنزل الله ما قرئ في براءتي فكأنها عدت ما تختص بها»[٦].
- ثم تُقرأ الآيات على ضوء هذا السبب.
- ويُستنبط منها تهذيب المجتمع وأحكام القذف وآداب الشهادة.

**ثالثًا: القرطبي: توظيف الحديث الصحيح في تأسيس قواعد فقهية وأخلاقية.**

القرطبي يقرر أن سبب النزول ما رواه الأئمة من حديث الإفك المشهور الصحيح، ثم يميل إلى تحويل الآيات إلى قواعد[٧]:

- قاعدة إنكار القذف بلا بيّنة.
- قاعدة حماية «درجة الإيمان» من الإشاعة.

---

(١) العُصبةُ: الجماعةُ من العَشَرة إلى الأربعينَ، وأصلُ (عصب): يدُلُّ على ربطِ شَيءٍ بشَيءٍ. يُنظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (١٣٩٩هـ): معجم مقاييس اللغة، (٣٣٦/٤).

(٢) كِبْرَهُ: أي: مُعظَمَه، أي: معظمَ ذلك الإثم والإفك، ومنه الكِبْرُ: وذلك أن يرى الإنسانُ نفْسَه أكبَرَ من غيره، وقيلَ: الكِبْرُ: الإثمُ، وهو من الكبيرة، وأصلُ (كبر): خلافُ الصِّغَر. يُنظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، غريب القرآن، (ص٣٠١)، و ابن فارس (١٣٩٩هـ): مقاييس اللغة: (١٥٣/٥)، والراغبَ، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، (ص٦٩٧)، وابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، (١٤٢/٤).

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٨٩/١٧-١٩١).

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (١٩/٦).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النور، (١٠١/٦)، رقم (٤٧٥٠).

(٦) ابن كثير: تفسير ابن كثير، (١٩/٦-٢٠)؛ وينظر: ابن عطية، عبد الحق، بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١٦٨/٤).

(٧) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠٣/١٢-٢٠٤).

- وقاعدة أن الشائعة لا تُزيل العفاف بمجرد ذيوعها إذا كان أصلها فاسدًا أو مجهولًا (كما يظهر في بعض الشروح المعاصرة لتفسير القرطبي).

**رابعًا: خلاصة «المسار السني»:**

يمكن تلخيص مسار الاستدلال السني في:

١- ثبوت السبب بحديث الإفك المشهور (عائشة).

٢- تفسير لغوي وسياقي للآيات وفق هذا التعيين.

٣- اشتقاق منظومة أخلاقية تشريعية: التثبت، البينة، تحريم إشاعة الفاحشة، وجوب صيانة الأعراض.

## المطلب الثاني

## التفسير الإمامي (الشيعي) لآيات الإفك: اتجاهاته وآلياته

**أولًا: مجمع البيان: قراءة تفسيرية تُسجل سبب النزول في عائشة ضمن الرواية المشهورة**

يورد «مجمع البيان» في سياق تفسير الآيات ما يفيد ربطها بقصة عائشة وصفوان، ويذكر أسماء من خاضوا، ويجعل الخطاب لعائشة وصفوان ولمن اغتم بسبب ذلك[١].

وهذا يدل على أن «التفسير الإمامي» ليس كتلة واحدة في سبب النزول، وأن في الموروث الإمامي تفسيرًا يساير الرواية المشهورة.

**ثانيًا: الميزان للطباطبائي: عرض الخلاف داخل الروايات ونقد اللوازم.**

يمتاز «الميزان» بأنه تفسير تحليلي كلامي/ فلسفي مع عناية بالمرويات. في هذا الموضع يذكر الطباطبائي -ناقلًا عن تفسير القمي- أن «العامة» رووا أنها نزلت في عائشة، وأن «الخاصة» رووا أنها نزلت في مارية القبطية وما رمتها به عائشة[٢].

**الملحوظ منهجيًا هنا:**

- تسجيل وجود اتجاه روائي إمامي يعيّن الواقعة في مارية.
- تمييز بين «العامة/الخاصة» بوصفه تصنيفًا روائيًا.
- محاولة ضبط اللوازم (مثل مناقشة توهم «حدَين» وهو حديث عمر بن الخطاب: «إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل: لا نجد حدَين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا، والذي نفسي بيده، لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى، لكتبتها: الشيخ والشيخة فارجموهما البتة، فإنا قد قرأناها» على نحوٍ لا يقول به أحد من الأمة) في سياق

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسين، مجمع البيان في تفسير القرآن، (٢٣٠/٧).

(٢) الطبطبائي، السيد محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، (١٠٢/١٥).

نقد بعض الاستنتاجات الروائية.

**ثالثًا: تفسير القمي: وعاء الرواية وإبراز ثنائية العامة/الخاصة:**

في مواقع التفاسير التي تنقل نص القمي عند الآية ١١: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾، يظهر نصّ صريح يعيد إنتاج الثنائية نفسها (نزولها في عائشة عند العامة، وفي مارية عند الخاصة)[1].

ومن منظور «التفسير المقارن»، فإن القمي يمثّل نمط «التفسير الروائي» الذي يكون فيه سبب النزول جزءًا من هوية المدرسة.

**رابعًا: خلاصة «المسار الإمامي»:**

المشهد الإمامي -في ضوء العينة- يتوزع بين:

- اتجاه يفسر الآيات ضمن القصة المشهورة (يمثله مجمع البيان في هذا الموضع).
- واتجاه روائي يعيّنها في مارية القبطية كما تنقله بعض مصادر الرواية، مع تعامل «الميزان» معه بوصفه رواية «الخاصة» لا حقيقة تاريخية مقطوعًا بها، مع نقد لوازم بعض الفهوم.

**المطلب الثالث**

**المقارنة التفصيلية: نقاط الاتفاق والاختلاف (مصفوفة تحليلية)**

**أولًا: سبب النزول وتعيين الواقعة:**

**أهل السنة:** يميلون إلى القطع بأن الآيات نزلت في عائشة، اعتمادًا على حديث الإفك المشهور الصحيح، كما صرّح ابن كثير، والقرطبي.

**الإمامية:** يوجد تعدد: مجمع البيان يورد سياق عائشة، بينما يذكر القمي ومن ينقل عنه اتجاهًا يعينها في مارية، ويعرض الميزان ذلك بوصفه اخ لاف «العامة/الخاصة»، فالعامة يرون أنها نزلت في شأن عائشة، بينما يرى الخاصة أنها نزلت في شأن مارية القبطية.

**ثانيًا: تحليل مقارن:**

الاختلاف هنا ليس في دلالة الآيات الأخلاقية، بل في «التأطير التاريخي». وهذا يعيدنا إلى سؤال: ما وزن «سبب النزول» في التفسير؟

- **عند السنة:** سبب النزول هنا جزء من «ثبوت التاريخ» بحديث صحيح مشهور، فتكون صلته بالنص قوية.

(١) قمي، علي بن إبراهيم ، تفسير القمي، (٢/٩٩).

- **عنـد الإماميـة:** حضور سبب نزول بديل فـي بعض الروايات يجعل التعييـن قابلًا للتعدد داخل المدرسة، ويفتح باب النقد الداخلي كما يوحي به الميزان.

**ثالثًا: حجية المأثور: معيار القبول وتوظيف الرواية:**

- فـي تفسير ابـن كثير والقرطبي، يظهـر التعويل على «الأحاديـث الصحيحة» في تثبيت القصة وبناء التفسير.
- فـي القمي، تظهر الروايـة بوصفها مُعرّفًا لهوية التأويل (عامة/خاصة)، بينما «الميزان» يميل إلى فحص اللوازم وعدم التسليم بكل ما تنتجه بعض الأخبار من نتائج.

**رابعًا: نتيجة مقارنة:**

الـ ـلاف هنا منهجي: ليس فقط «أي رواية أصـح؟» بل «كيف تُدار الرواية داخل التفسير؟»: هل هي قاطعة للتعيين، أم تُذكر ضمن أقوال ويُنظر في لوازمها ومعقوليتها وسياقها؟

**خامسًا: جدول مقارنة:**

| التفسير | سبب النزول | الأدلة | الترجيح | المقاصد |
|---|---|---|---|---|
| التفسير السني | القطع بأن الآيات نزلت في عائشة | ثبت بحديث صحيح مشهور | ثابت تاريخيًا بصورة صحيحة | تُنتج الآيات لدى المدرستين منظومة أخلاقية: التثبت، إحسان الظن، رفض تداول الشائعة، تعظيم القذف |
| التفسير الإمامي | إيراد سياق عائشة، والسياق الآخر يعينها في مارية بوصفه اختلاف «العامة/الخاصة». | ذكر بعض الروايات | غير ثابت تاريخيًا أنها نزلت في مارية | |

**سادسًا: القراءة السياقية واللغوية:**

في تفسير الطبري (ومن بعده كثيرون) تظهر عناية بتحديد معنى «تولّى كِبرَه» أنه الذي بدأ أو حمل معظم الإفك. وهذه نقطة لغوية لا تتوقف على تعيين المقذوفة.

وفي «الميزان» تظهر معالجة لغوية لمعنى «الإفك» وأنه «الكذب مطلقًا» أو صرف الشيء عن وجهه.

وهذا موضع اتفاق تطبيقي: المعالجة اللغوية في المدرستين قد تلتقي في أصل الدلالة، حتى مع اختلاف السبب التاريخي.

**سابعًا: الاستنباط التشريعي والأخلاقي:**

تُنتج الآيات لدى المدرستين منظومة أخلاقية: التثبت، إحسان الظن، رفض تداول الشائعة، تعظيم القذف، وجعل المجتمع شريكًا في المسؤولية.

والقرطبي يبرز هذه القواعد بوضوح في سياق تفسيره وطرحه للآداب والأحكام، وهي مقاصد لا تتغير بتغير التعيين.

**المبحث الثالث**

**مناقشة علمية: لماذا يختلف التعيين التاريخي؟ (فرضيات تفسيرية)**

**أولًا: اختلاف «نظام الإسناد» ووظيفة التاريخ في التفسير:**

حين يكون التاريخ الروائي جزءًا من بناء الهوية المذهبية، يصبح سبب النزول ساحة حساسة. ما نرصده في ثنائية (العامة/الخاصة) في نصوص القمي كما ينقلها الميزان يعكس أن سبب النزول قد يُستعمل لتفسير «الموقف من شخصيات تاريخية» لا لبيان الدلالة فقط.[1]

وهنا تأتي أهمية التفسير المقارن: تجريد النص من الاستعمال الجدلي قدر الإمكان، وردّ التفسير إلى قواعده.

**ثانيًا: «التعدد داخل المدرسة الواحدة» كمعطى ينبغي استثماره:**

من المهم علميًا ألا نختزل الإمامية في رأي واحد، لأن مجمع البيان – وهو تفسير إمامي معتبر – يورد سبب النزول في عائشة، ويذكر أسماء العصبة[2]. وهذا يفتح بابًا لنتيجة، وهي:

ليس الخلاف «سنّي/شيعي» فقط، بل هي أيضًا «داخل شيعي» بين تفسير يساير الرواية المشهورة وتفسير روائي يتبنى تعيينًا آخر، مع وجود نقد داخلي للوازم كما في الميزان؛ حيث يلاحظ أن الطبرسي استقر على أن الحادثة وردت في شأن عائشة، بينما ذهب القمي على تعيين للعامة والخاصة، في شأن عائشة أو مارية القبطية.

**ثالثًا: أثر التعيين على مقاصد الآيات:**

حتى لو اختلف التعيين، فإن الأثر على مقاصد التشريع محدود: لأن الآيات تنتقل سريعًا من القصة إلى بناء قواعد عامة للمجتمع (الظن، البينة، تحريم إشاعة الفاحشة). لذلك، من الإنصاف العلمي أن نقرر:

- الاختلاف التاريخي لا يلزم منه اختلافٌ جذريٌّ في الدلالة المقصدية.
- لكنه قد ينتج اختلافًا في «الاستثمار الجدلي» وفي «ترتيب الأولويات» داخل الخطاب الديني.

---

(١) ينظر: الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن: (١٠٢/١٥). وتفسير القمي، (٩٩/٢).

(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: (٢٣٠/٧).

**المبحث الرابع**

**نموذج تطبيقي لتفسير بعض آيات الإفك في سورة النور**

**أولًا: الآية ١١:** ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم...﴾

- سنّيًا (ابن كثير): تعيين الواقعة في عائشة صراحةً، وتحديد رأس العصبة عبد الله بن أُبي[١].
- سنّيًا (الطبري): بيان معنى «الذي تولّى كبره» أنه الذي بدأ الخوض/تحمل معظم الإثم[٢].
- إماميًا (الميزان): معالجة لغوية لمفهوم «الإفك»، ثم نقل اختلاف الروايات العامة/الخاصة في تعيين الواقعة[٣].

إماميًا (مجمع البيان): تفسير «الإفك» بالكذب العظيم وذكر أسماء من خاضوا، مع توجيه الخطاب لعائشة وصفوان بحسب ما يورده. قال: المعنى: (إن الذين جاؤوا بالإفك) أي: بالكذب العظيم الذي قلب فيه الأمر عن وجهه (عصبة منكم) أيها المسلمون[٤].

**تعليق مقارن:**

الطبري والميزان يلتقيان في الاهتمام بالتحليل اللغوي، بينما ابن كثير يُبرز أولوية التعيين التاريخي بحديث الإفك، ومجمع البيان يقدم رواية «السبب المشهور» في هذا الموضع. وهذا يعكس اختلاف ترتيب المصادر داخل التفسير: أثر/لغة/كلام/فقه.

**ثانيًا: الآية ١٢:** ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا...﴾

تُعدّ هذه الآية حجر الزاوية في أخلاق المجتمع: «الأصل حسن الظن والتثبت». وهي دلالة لا تتوقف على التعيين التاريخي. لذلك يمكن توظيفها في الدراسة المقارنة كنموذج «اتفاقٍ دلالي» يتجاوز الخلاف.

- سنّيًا (الطبري): ظننتم بمن قرف بذلك منكم خيرًا، ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة[٥].
- سنّيًا (القرطبي): المعنى أنه كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم[٦].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١٩/٦).
(٢) الطبري، تفسير الطبري: (١٩١/١٧).
(٣) الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن: (١٠٢/١٥).
(٤) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: (٢٣٠/٧).
(٥) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن: (٢١١/١٧).
(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٠٢/١٢).

- إماميًا (الميزان): محصل الآيات أنه كان هناك جماعة مرتبط بعضهم ببعض يذيعون الحديث ليفضحوا النبي[1].
- إماميًا (مجمع البيان): ظن المؤمنون والمؤمنات بالذين هم كأنفسهم خيرًا، لأن المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الأمور. فإذا جرى على أحدهم محنة، فكأنها جرت على جماعتهم. والمعنى: هلا إذا سمعتم هذا الحديث، ظننتم بها ما تظنونه بأنفسكم، لو خلوتم بها، وذلك لأنها كانت أم المؤمنين. ومن خلا بأمه لا يطمع فيها، وهي لا تطمع[2].

**تعليق مقارن:**

يتفق التفسير السني مع التفسير الإمامي في حمل المعنى في قوله ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا﴾، بأنه تعبير عن الظن بالغير للدلالة على أن المجتمع كالعنصر الواحد، وهذا المعنى لا خلاف فيه في قصة الإفك، وأنه نظير قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ..﴾.

ويحتمل أن يكون التعبير بالأنفس حقيقة والمقصود إلزام سيىء الظن بنفسه لأنه لم يعتد بنوازع الإيمان ووزائعه في حق غيره وألفاه واعتبره في حق نفسه وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لا بحكم الهدى[3].

**ثالثًا: الآية ١٥:** ﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم﴾.

وهذه الآية توبيخ من الله تعالى لهؤلاء العصبة الذين خاضوا في عرض غيرهم دون علم منهم، ظنًا منهم أن ذلك أمرٌ هين، ولكنه عند الله عز وجل أمرٌ عظيم.

- سنيًا (الطبري): تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك، فتقبلونه، ويرويه بعضكم عن بعض.. وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بألسنتكم، وتلقّيكموه بعضكم عن بعض هين سهل، لا إثم عليكم فيه ولا حرج، ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللّهِ عَظِيمٌ﴾ يقول: وتلقّيكم ذلك كذلك وقولُكموه بأفواهكم، عند الله عظيم من الأمر لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته[4].
- سنّيًا (ابن كثير): أي: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين، وتحسبون ذلك يسيرًا، ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هينًا، فكيف وهي زوجة النبي ﷺ، فعظيم عند الله أن يقال

(١) الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن: (١٠٥/١٥).
(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: (٢٣١/٧).
(٣) درويش، محي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، (٥٧٨/٦).
(٤) الطبري ، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٢١٥/١٧-٢١٧).

في زوجة رسوله ما قيل![1].

• إماميًا (مجمع البيان): أي: تظنون أن ذلك سهل، لا إثم فيه ﴿وهو عند الله عظيم﴾ في الوزر، لأنه كذب وافتراء[2].

**تعليق مقارن:**

تصور الآية الوقوع في هذه المعصية بصورة بليغة، وتصفه بالأمر العظيم عند الله تعالى، مع ظن بعضهم بأنه أمرٌ هين، وتتفق التفاسير في ذلك، حيث تصفه بأنه كذب وزور وآثاره عظيمة عند الله تعالى.

**رابعًا: الآية ١٦:** ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾

• سنيًا (الطبري): يقول تعالى ذكره: (وَلَوْلا) أيها الخائضون في الإفك الذي جاءت به عصبة منكم، (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) ممن جاء به (قُلْتُمْ) ما يحلّ لنا أن نتكلم بهذا، وما ينبغي لنا أن نتفوّه به (سُبْحَانَكَ) تنزيهًا لك يا ربّ وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء (هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) يقول: هذا القول بهتان عظيم[3].

• سنّيًا (القرطبي): عتاب لجميع المؤمنين أي كان ينبغي عليكم أن تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل، وأن تنزهوا الله تعالى عن أن يقع هذا من زوج نبيه عليه الصلاة والسلام. وأن تحكموا على هذه المقالة بأنها بهتان[4].

•إماميًا (مجمع البيان): زاد سبحانه في الإنكار عليهم، فقال: (ولولا إذ سمعتموه قلتم) أي: هلا قلتم حين سمعتم ذلك الحديث (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) أي: لا يحل لنا أن نخوض في هذا الحديث، وما ينبغي لنا أن نتكلم به (سبحانك) يا ربنا (هذا) الذي قالوه (بهتان عظيم) أي: كذب وزور عظيم عقابه، أو نتحير من عظمه[5].

**تعليق مقارن:**

اتفقت التفاسير على أن الآية تأتي في إطار العتاب والإنكار، وموقف المسلم من مثل هذا الأمر، وهو أن يقول (سبحانك هذا بهتان عظيم).

**خامسًا: الآية ١٩:** ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة...﴾

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣٨/٦).

(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: (٢٣١/٧).

(٣) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن: (٢١٨/١٧).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٠٥/١٢).

(٥) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: (٢٣٢/٧).

يذكر المفسرون هذا النص للدلالة على ما تشير إليه الآية من الخُلُق المجتمعي الذي ينبغي أن يكون عليه المجتمع، وهو البعد عن نشر الفواحش والتحذير منها، مع اختلاف في منهج تفسير الآية، من حيث بيان المعنى اللغوي، ثم الانتقال من خلاله إلى الفائدة، أو بيان المعنى مباشرة.

• سنّيًا (القرطبي): (تشيع الفاحشة) أي تفشو، يقال: شاع الشيء شيوعًا وشيعًا وشيعانًا وشيوعه، أي ظهر وتفرق. والفاحشة: الفعل القبيح المفرط القبح. وقيل: الفاحشة في هذه الآية القول السيئ[١].

• سنّيًا (ابن كثير): تأديب ثالث لمن سمع شيئًا من الكلام السيئ، فقام بذهنه منه شيء، وتكلم به، فلا يكثر منه ويشيعه ويذيعه[٢].

• إماميًا (الميزان - تفسير القمي): قال: من قال في مؤمن ما رأت عيناه - و ما سمعت أذناه كان من الّذين قال اللّه فيهم «إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشةً[٣].

إماميًا (مجمع البيان): أي: يفشوا ويظهروا الزنا والقبائح (في الذين آمنوا) بأن ينسبوها إليهم، ويقذفوهم بها[٤].

**تعليق مقارن:**

تضع الآية معيارًا أخلاقيًا يتجاوز مجرد «نقل الخبر»: إذ تُجرِّم «محبة الإشاعة» ولو دون مباشرة الفعل.

وهذا البعد المقاصدي غالبًا ما يتفق عليه المفسرون، ويستحق أن يُبرز في خاتمة البحث بوصفه ثمرة عملية للمقارنة: أن النص يُؤسس لسلامة المجال العام.

غير أن التفسير السني كان أكثر وضوحًا وبيانًا لهذا المعنى، بينما التفسير الإمامي خصه في مجمع البيان بظهور الزنا والقبائح، واكتفي في تفسير القمي والميزان بذكر الرواية التي تحذر من ذلك.

**سادسًا: الآية:** ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى..﴾

تتفق كتب التفاسير على سبب نزول هذه الآية، أنها نزلت في أبي بكر الصديق ومسطح بن أثاثة، وقيل في غيره من الصحابة.

• سنّيًا (الطبري): وكان أبو بكر حلف ألا ينفع مسطحًا بنافعة، وكان بينهما رحم[٥].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٠٦/١٢).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٩/٦).

(٣) ينظر: القمي، تفسير القمي، (١٠٠/٢). والطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن: (١٠٥/١٥).

(٤) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: (٢٣٢/٧).

(٥) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن: (٢٠٩/١٧).

• سنّيًـا (القرطبـي): المشهور من الروايات أن هـذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة[١].

• إماميًـا (مجمـع البيان): نزلت فـي أبي بكر، ومسطح بن أثاثـة، وكان ابن خالة أبي بكر، وكان مـن المهاجرين، ومن جملة البدريين، وكان فقيرًا. وكان أبو بكر يجري عليه، ويقوم بنفقته. فلما خاض في الإفك، قطعها وحلف أن لا ينفعه بنفع أبدًا [٢].

**سابعًا: الآيـة:** ﴿والذين يرمـون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شـهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة..﴾

هـذه الآيـة تعريج بحكم شرعي على حادثـة الإفك، وهو حد القـذف للمحصنات، واختلفت كلمة المفسرين في سبب نزول هذا الحكم هل هو حادث الإفك، أم هو حكام عام.

• سنّيًـا (الطبـري): هذه الآية إنما نزلت في الذين رمـوا عائشة زوج النبي ﷺ بما رموها به من الإفك[٣].

• سنّيًـا (ابـن كثيـر): هـذه الآية الكريمة فيها بيـان حكم جلد القـاذف للمحصنة، وهي الحرة البالغة العفيفة، فإذا كان المقذوف رجلاً فكذلك يجلد قاذفه أيضًا، ليس في هذا نزاع بين العلماء[٤].

• إماميًـا (تفسيـر الميـزان): نزلت بالمدينة.. برأ الله مـن كان مقيمًا على الفرية. من أن يسمى بالإيمان، وجعله ملعونًا[٥].

**تعليق مقارن:**

تعرض في التفسير السني لسبب نزول هذه الآية، وأنها نزلت في شأن حادث الإفك، كما ذكر الطبـري. وتعرض ابن كثير والقرطبي للحكم المنصوص عليه فـي الآية، وهو حد القذف. ويشار أيضًـا إلى أن الحكم عام، وقيل نزلت في غير حادث الإفك. بينما لم يتعرض في التفسير الإمامي إلى سبب نزول الآية، سوى تعريج بسيط في تفسير الميزان والقمي بصورة قليلة جدا.

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٠٧/١٢).
(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: (٢٣٤/٧).
(٣) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن: (١٦١/١٧).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١٣/٦).
(٥) الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن: (١٠٧/١٥).

## المبحث الخامس

## الرد على الشيعة

### في زعمهم أن آيات حادثة الإفك نزلت في مارية

مما سبق يتبين أن الشيعة يجعلون آيات سورة النور، إنما نزلت لتبرئة مارية من الزنا ، وأن عائشة ( رضي الله عنها ) لم تثبت براءتها من تهمة الزنا التي ألحقها بها أهل الإفك عقب غزوة المريسيع ، وعليه فإن عائشة في معتقدهم زانية والعياذ بالله - ليس ذلك فحسب بل إن عائشة (رضي الله عنها ) هي التي اتهمت مارية بالزنا وأشاعت عنها ذلك لغيرتها منها لاسيما بعدما أنجبت الولد[1]. . .

و ذلك كله افتراء محض وإفك مستطير، والناظر في أقوال كل فريق ليتبين بجلاء له كذب الشيعة وضلالهم، وتنقيصهم من قدر سيد المرسلين.. وإليك الأدلة على ذلك:

**أولاً:** لم يأت في أي رواية من روايات الشيعة، ربط آيات سورة النور بموضوع مارية إطلاقا، وإنما يقول بعض مفسري الشيعة ذلك من عند أنفسهم ، فلا توجد عندهم -ولا عندنا قطعًا- رواية فيها ذلك ، فكل الروايات الورادة عندهم وعندنا ، فيها أن مارية اتهمت بالزنا وأن النبي (ﷺ) أرسل عليًا لقتل جريج فوجده مجبوبًا[2]، فلا توجد رواية واحدة ، مروية عن أحد من ثقاتهم أو دون الثقاة ، تقول إن الله أنزل آيات سورة النور في براءة مارية .

بل إن عدداً من كبار مفسري وعلماء الشيعة، يتفقون مع أهل السنة، في أن آيات البراءة نزلت في عائشة، من جملتهم الشيخ الطوسي في تفسير التبيان، والفضل بن الحسن الطبرسي في مجمع البيان، والسيد مرتضى العسكري وأبو الفتوح الرازي في روض الجنان[3]

**ثانيًا:** الثابت أن آيات سورة النور نزلت عقب غزوة بني المصطلق التي كانت في شعبان من السنة السادسة، وأن مارية وصلت المدينة في أواخر السنة السابعة، فنزول آيات سورة النور بالبراءة كانت قبل مجيء مارية، كان حين كانت مارية في مصر، فكيف تنزل آيات قرآنية في براءة مارية وهي في مصر على دين قومها، وكيف حصل هذا القذف المزعوم وهي في بلادها!!!

**ثالثًا:** لم تكن براءة مارية من تهمة الزنا بحاجة إلى نزول آيات لإثباتها، لقد ثبتت وتحققت، بدليل قاطع، وهو أن من اتهمت بالزنا معه مجبوب، لقد انتهى الأمر، وبرئت مارية براءة تامة، ليس فيها أدنى شك، وقد جاء الخبر عندكم إن النبي لما رجع إليه علي وأخبر أن من اتهمت مارية

---

(١) الشيخ المفيد، رسالة حول خبر مارية ، صـ٥ .

(٢) ينظر : الشيخ المفيد، رسالة حول خبر مارية ، صـ١٦. والمجلسي، بحار الأنوار، جـ١٠٣/٧٦. والمرتضى، الأمالي، جـ٧٧/١.

(٣) ينظر: الطوسي ، التبيان في علوم القرآن ، جـ٤١٥/٧ . والطبرسي، مجمع البيان، جـ٢٠/٥ وما بعدها. والحلي، أجوبة المسائل المهنائية، صـ١٢١. والمجلسي، بحار الأنوار، جـ ٢٣٥/٢٢. والسيد المرتضى، أحاديث ام المؤمنين عائشة، جـ٢/ ٧٩ وما بعدها.

بالزنا معه محبوب قال : الحمد لله الذي برأنا مما رمتنا به أشرار الناس من السوء[1]

أي أن البراءة قد تحققت، فلما تنزل الآيات إذن، إنها لن تضيف جديدًا، بخلاف ما كان في أمـر عائشـة (رضي الله عنها) فلم يكن من سبيل لإثبات براءتهـا إلا بالوحي، ولا يجادل في ذلك إلا معاند.

رابعاً: لو لم تكن آيات حادثة الإفك قد نزلت في عائشة، وأنها لم تبرأ من تهمة الزنا، فكيف يزوج الله نبيه (ﷺ) امرأة زانية -عياذًا بالله - وتخوض في عرضه، وتتهمه في شرفه، بل كيف لا يخبـره بمـا تفعل من فاحشة ويأمره الله بطلاقها، إذا كان قد حدث منها كل هذا، بل كيف يقبل رسـول الله (ﷺ) العيش مع امرأة زانيـة -عياذًا بالله - وشككت في رجولته، وخاضت في شرفه واتهمت واحدة من زوجاته بالزنا، إن أدنى الناس رجولا لا يقبل هذا أيقبله رسول الله (ﷺ)؟ !!

خامسـاً : كيف تكـون عائشة هي القاذفة وكتاب الله يقرر أن من قذف مارية بالزنا عصبة ، قـال تعالـى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [ النـور : ١١]، والعصبة هي الجماعة، قيل: هم من ثلاثة إلى عشرة، وقيل: من عشرة إلى أربعين، وقال الطبطبائي في تفسيره الميزان : وكان الرامون عصبة، والعصبة جماعة متعصبة متعاضدة ، وقيل : إنها عشرة إلى أربعين[2]

سادسـاً: لـو كانت عائشـة (رضي الله عنها) زانيـة -عياذًا بالله- أو اتهمـت مارية بالزنا، فلماذا لم يُقم عليها رسول الله (ﷺ) الحد؟

سابعاً: لو كانت عائشة (رضي الله عنها) بهذا الفحش -كما يزعمون- فكيف يأذن الله لنبيه (ﷺ) أن يدفن في حجرة من خانته وآذته في شرفه وعرضه؟؟

ثامنـاً: إن الإصـرار على اتهام زوجـة من زوجات النبـي بالزنا لهو أكبر إيـذاء لرسول الله (ﷺ)، وقد قال في كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً﴾ [الأحزاب :٥٧]

تاسعـاً: إلصاقهـم التهمة بعائشـة (رضي الله عنها) لمجـرد أنها كانت تقـول لرسول الله (ﷺ)، حيـن يأتيها بإبراهيم، ويقول: يَا عَائِشَةُ، كَيْفَ تَرَيْنَ الشَّبَهَ؟ فتقول: ما أرى شبهاً، تحملها علـى ذلـك الغيرة كما صرحت بذلك عائشة (رضي الله عنها)[3]، أقـول : هذه عـ لا تصح : فإن نفي الشبه لا يعني أبدًا نفي النسب.

---

(١) ينظر: الشيخ المفيد ، رسالة حول خبر مارية ، صـ٥ - المرتضي ، الأمالي ، جـ١/٧٧ .

(٢) الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، جـ١٥/٨٩.

(٣) الحاكم ، المستدرك ، ذِكْرُ سَرَارِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جـ٤/٤١ح٦٨٢١ .

## الخاتمة:

### أولًا: نتائج البحث:

١- المقاصد الأخلاقية والتشريعية في آيات الإفك متفقٌ عليها في جوهرها: التثبت، البينة، صيانة الأعراض، مكافحة الإشاعة، وجعل المجتمع مسؤولًا عن منع تداول البهتان.

٢- أبـرز نقطة افتراق هي تعييـن سبب النزول: عائشة في المدونـة السنية على نحوٍ ظاهر صريح، وفي الإمامية يظهر تعدد بين تفسيرٍ يساير ذلك (مجمع البيان) وروايات تعينها في مارية (القمي) كما يعرضه الميزان.

٣- الاختـلاف فـي التعيين متولدٌ جزئيًا مـن اختلاف «وظيفة المأثـور» ومعايير التعامل مع الأخبار؛ ويظهر في الميزان ميلٌ إلى فحص اللوازم وعدم التسليم بكل استنتاج تنتجه الرواية كما في رواية سيدنا عمر عن إقرار حد الرجم في كتاب الله.

٤- التفسيـر المقـارن هنا يوصي بفصل «مقاصد النص» عـن «الاستثمار الجدلي للتاريخ»، وإعطاء المقاصد موقع الصدارة في البحث الأكاديمي.

### ثانيًا: توصيات بحثية:

١- توسيـع العينـة الإمامية بإدخال تفاسيـر روائية (مثل: نـور الثقلين/البرهان) وتفاسير تحليلية أخرى، ثم فحص حضور رواية مارية: هل هي غالبٌ أم هامشي؟

٢- إنجـاز دراسـة مستقلة في «حجية سبب النزول» بين المدرستين: هل هو مفسِّرٌ قطعي أم قرينة تاريخية؟

٣- بنـاء «مصفوفة معياريـة» للتفسير المقـارن تصلح للنشر: (الخبـر - السياق - اللغة - المقاصد - الترجيح).

٤- توجيه عناية الباحثين إلى التفاسير الشيعية، وما فيها من شبهات تفسيرية، والرد عليها.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولًا: مصادر تفسير سنية:


الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (١٣٧٦هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، (دار إحياء الكتب العربية).

ابن عطية، عبد الحق، بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد الس م عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٤٢٠هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

أبو جبل، محمد فضل، (١٤٢٥هـ)، تفردات الإمام أبي السعود في إرشاده عن الزمخشري في كشافه والنسفي في مداركه والبيضاوي في أنواره دراسة تطبيقية على تفسيرهم، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، القاهرة.

الطبري، محمد بن جرير (١٤٢٢هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى.

الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ): العين: تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال

درويش، محي الدين بن أحمد مصطفى(١٤١٥هـ): إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير – دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة.

الزرقاني، محمد عبد العظيم (د.ت): مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

عباس، فضل حسن (١٤٣٧هـ)، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (١٣٨٤هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية.


### ثانيًا: مصادر الإمامية (شيعية)


الطبرسي، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) مجمع البيان، طبعة مكتبة الحياة، بيروت.

الطبطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.

قمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تحقيق موسوي جزائري، طيب، دار الكتاب.

الشيخ المفيد، رسالة حول خبر مارية، الطبعة الأولى، مطبعة مهر، ١٤١٣هـ.

المرتضي، علي بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم (٣٥٥ - ٤٣٦ ) هـ. الأمالي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م.

الطوسي، محمد بن الحسن (المتوفى ٤٦٠ هـ) التبيان في علوم القرآن، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

الحلي، جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر ( ٦٤٨ - ٧٢٦ ) هـ. أجوبة المسائل المهنائية ، مطبعة الخيام قم ، ١٤٠١ هـ.

المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار، الطبعة الثانية، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣ م.

العسكري، السيد المرتضى، أحاديث أم المؤمنين عائشة، الطبعة الخامسة، التوحيد للنشر، ١٤١٤ هـ.

**ثالثًا: مراجع منهجية ودراسات:**

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت.

الراغب، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، غريب القرآن، المحقق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة.

أبو العباس الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، طبعة المكتبة العلمية بيروت.

دراسات مقارنة في «مصادر التفسير بالمأثور» بين السنّة والإمامية (أعمال مفهرسة/ منشورة).

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. (١٤٢٠هـ). مختار الصحاح. المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة.

الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ ١٩٩٠.

خالد بن فهد الكليب المغيرة (٢٠١١): آيات حادثة الإفك في سورة النور، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، ماليزيا، ١٤٣٢هـ.

روضة عبد الكريم محمد، (٢٠١٧): مصادر التفسير بالمأثور بين أهل السنة والشيعة الإمامية الاثني عشرية (دراسة مقارنة)، مجلة العلوم الإسلامية الدولية، جامعة المدينة العالمية – كلية العلوم الإسلامية، ماليزيا.